

الاستقامة

عناصر الموضوع

١١٤	مفهوم الاستقامة
١١٥	الاستقامة في الاستعمال القرآني
١١٦	الألفاظ ذات الصلة
١١٩	أساليب القرآن في عرض الاستقامة
١٢١	الأنبياء والاستقامة
١٢٤	سبل الاستقامة
١٣٢	موانع الاستقامة
١٣٥	الآثار والثمرات المترتبة على لزوم الاستقامة
١٣٧	الآثار المترتبة على الانحراف عن الاستقامة

مفهوم الاستقامة

أولاً: المعنى اللغوي:

«القاف والواو والميم أصلان صحيحان، يدل أحدهما على جماعة ناس، وربما استعير في غيرهم. والآخر على انتصاب أو عزم»^(١). «والاستقامة: ضد الطغيان، وهو مجاوزة الحد في كل شيء»^(٢).
وقد أطلق على معنى الاستقامة عدة معانٍ، منها: القصد، والإصابة، والاستواء، والنظام، والاعتدال، والرشد، والزم، وغير ذلك^(٣).
وقد اتفق كثير من أهل اللغة - ومن خلال ذكر جذرها حتى الألفاظ القرية - على أنها ترجع إلى معنى الاعتدال والتوسط، والسلامة من غضب الله تعالى^(٤).

ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

الاستقامة: هي سلوك الصراط المستقيم، وهو الدين القويم من غير تعويج عنه يمنة ولا يسرة، ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات كلها كذلك^(٥).
وقد عرفها الجرجاني بأنها: «الوفاء بالعهود كلها، وملازمة الصراط المستقيم برعاية حد التوسط في كل الأمور، من الطعام والشراب واللباس، وفي كل أمر ديني ودنيوي، فذلك هو الصراط المستقيم، كالصراط المستقيم في الآخرة»^(٦).

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٤٣/٥.

(٢) مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، ١٠٤/٢.

(٣) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري، ١٢٦/٢، الصحاح، الجوهري، ٢٠١٧/٥، مقاييس اللغة، ابن فارس، ٥/٣.

(٤) انظر: المصادر السابقة.

(٥) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب، ص ١٩٣.

(٦) التعريفات، الجرجاني، ص ١٩.

الاستقامة في الاستعمال القرآني

وردت مادة (ق و م) في القرآن (٦٦٠) مرة، والذي يخص موضوع الاستقامة منها (٤٧) مرة^(١).

والصيغة التي وردت هي:

الصيغة	عدد المرات	المثال
الفعل الماضي	٤	﴿فَمَا اسْتَقْنُوا لَكُمْ فَاسْتَغِيْمُوا لَهُمْ﴾ [التوبة: ٧]
الفعل المضارع	١	﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٨]
فعل الأمر	٥	﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ﴾ [هود: ١١٢]
اسم الفاعل	٣٧	﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]

وجاءت الاستقامة في القرآن بمعناها اللغوي، وهو: الاعتدال، والاستواء، والالتزام^(٢).

(١) انظر: المعجم المفهرس الشامل، عبد الله جلغوم ص ٩٨٨، ٩٨٧.

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور ٤٩٨/١٢.

الألفاظ ذات الصلة

١ الإصابة:

الإصابة لغة:

تعني ثلاثة أمور، هي: الصواب، والإيجاد، والإرادة^(١).

الإصابة اصطلاحًا:

إرادة العمل الصالح المقبول شرعًا بإيجاد الظروف المناسبة له ضمن ضوابط الشرع الحنيف.

الصلة بين الإصابة والاستقامة :

إن ثمة اتصالاً قوياً بين الإصابة والاستقامة من حيث مدلول الجذر؛ فكلاهما يشترك في الدعوة إلى السلامة من غضب الله تعالى، ومن ثم عذابه؛ لكن الاستقامة أشمل من حيث إنها تجمع أقوال وأعمال وأحوال المسلم، أما الإصابة فيغلب عليها الأعمال، ومن ثم الأقوال.

٢ الاستواء:

الاستواء لغة:

أصل يدل على استقامة واعتدال بين شيئين^(٢).

الاستواء اصطلاحًا:

آية عبادة دلت على استقامة واعتدال بعد اعوجاج وميل عن الحق واتباعه^(٣).

الصلة بين الاستواء والاستقامة :

الاستقامة تعني الاعتدال والالتزام بما فيه سلامة من غضب الله تعالى ومن ثم عذابه، أما الاستواء فهي العبادات التي تدل على استقامة بعد اعوجاج حدث، أو ميل عن الحق وقع، وعلى هذا فالاستقامة أعم وأشمل.

(١) انظر: المنجد في اللغة، كراع النمل، ص ١٢٤.

(٢) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ١١٢/٣.

(٣) انظر: المصدر السابق.

٣ الرشد:

الرشد لغةً:

السير على النهج الصحيح والطريق المستقيم، والرشد والرشد: خلاف الغي^(١).

الرشد اصطلاحاً:

«حسن التصرف في الأمر حساً أو معنى، ديناً أو دنياً»^(٢).

الصلة بين الرشد والاستقامة :

الاستقامة: هي السير على المنهج القويم بما يضمن السلامة من غضب الله تعالى ومن عذابه، أما الرشد: فحسن التصرف في الأعمال؛ للوصول إلى الاستقامة، وعلى هذا فالاستقامة هدف، والرشد طريق عملي؛ للوصول إلى ذلك الهدف.

٤ القصد:

القصد لغةً:

استقامة الطريق^(٣)، والقصد هو بيان الهدى^(٤).

القصد اصطلاحاً:

حسن التوجه في النية، بما يكفل سلامة العبد من العذاب.

الصلة بين القصد والاستقامة :

الاستقامة: هي السير على المنهج القويم بما يضمن السلامة من غضب الله تعالى ومن عذابه، أما القصد: فحسن التوجه القلبي؛ للوصول إلى الاستقامة، وعلى هذا فالاستقامة هدف، والقصد طريق قلبي؛ للوصول إلى ذلك الهدف.

(١) انظر: مجمل اللغة، ابن فارس، ١/ ٣٧٩.

(٢) التوقيف، المناوي، ص ١٧٧.

(٣) انظر: تاج العروس، مرتضى الزبيدي، ٩/ ٣٥.

(٤) انظر: تفسير السمرقندي، ٢/ ٢٦٧.

العدل لغةً:

يعني المثل^(١)، والعدولة والعدل: الحكم بالحق^(٢)، وهو عين الاستقامة في الحال في الدنيا، واستقامة المآل في الدنيا والآخرة.

العدل اصطلاحاً:

«وهو الاعتدال والاستقامة، وهو الميل إلى الحق»^(٣).

الصلة بين العدل والاستقامة:

العدل أعم من الاستقامة؛ لأن العدل يقتضي استقامة الحال في الدنيا، واستقامة المآل في الآخرة؛ فهو بهذا الوجه بمعنى الاستقامة، وكل ما له مدلول المثلية فهو عدل؛ فإن من العدل ما هو مذموم، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١].

(١) انظر: مشارق الأنوار، القاضي عياض، ٦٩/٢.

(٢) انظر: العين، الفراهيدي، ٣٨/٢.

(٣) التعريفات، الجرجاني، ص ١٤٧.

أنفسهم أمام قاتليهم، وبالتالي فإن الاستقامة مع من استقام من المشركين جاءت بأسلوب الأمر وبعدها ترغيب بأن الله تعالى يحب المتقين؛ لما في أمر الله تعالى وترغيبه من عظيم الأثر في الالتزام.

وتوضح الآية أن الأصل في الإسلام الرحمة والعفو والصفح؛ لكن الذي يستهزئ بالعهد التي أبرمت مع المسلمين فلا عهد له ولا أمان بعد ذلك، مع أهمية ألا تختلط الأمور فيعامل من التزم بالعهد كمن لا يلتزم، ومن هنا جاء الأمر بالاستقامة؛ حتى يمتاز جانب الاعتدال في التعامل مع المشركين إن التزموا بعهودهم.

ثانيًا: أسلوب الترغيب والترهيب:

يكثُر في القرآن الكريم استعمال أسلوب الترغيب والترهيب في قضايا كثيرة، ومنها: الترغيب في الاستقامة على المنهج الإسلامي، والترهيب من الإعراض عنه الذي يخالف مبدأ الاستقامة.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالَاتِ هُمْ فِي صَفْوَةٍ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ۚ﴾ [البقرة: ١٧٧-١٧٨].

بعد أن ذكرت الآيات السابقة أحوال الجن، وتصنيفهم إلى مسلم منصف في المفهوم الرباني ومقتضياته، وظالم في ذلك، ترغب هذه الآية بصيغة إغرائية للخير،

أساليب القرآن في عرض الاستقامة

أولاً: أسلوب الأمر:

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٧].

بينت هذه الآية وما بعدها سبب البراءة من المشركين، وإمهالهم أربعة أشهر، ثم قتالهم، وذلك هو نقضهم العهود، وأنهم معتدون بكل ما تعني الكلمة؛ لكن الاستثناء يظهر هنا للمعاهدين من المشركين الملتزمين؛ فإن استقامتهم هذه على العهود جعلت ضرورة المعاملة بالمثل بالنسبة للمسلمين، ثم تذييل الآية بالجملة التقريرية، ويمكن أن تكون تعليلية ببيان أن الله تعالى يحب المتقين، الذين يخافون من غضب الله تعالى بعدم التزام أوامره ونواهيه^(١).

والأسلوب الاستفهامي الاستنكاري في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ﴾ بمعنى كيف لا يكون؛ ليفيد مدى بشاعتهم، وبالتالي فإن المعاملة بالمثل من تمام الاستقامة التي أمر المسلمون بالتمسك بها. وفي أثناء المعركة قد تشحن النفوس ضد المشركين، وبالتالي لا يضبط المسلمون

(١) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ١٠/١١٨.

بأنهم لو التزموا نهج الصراط المستقيم، واعتدلوا في خط الحق لأتهم الدنيا بكثرة رزقها، وعبر عن الرزق الوفير في الآية بالماء؛ لأنه أخص خصوص الرزق، وكل هذا الرزق سببه الاختبار في هذه الدنيا؛ وهنا يأتي الترهيب الواضح لمن عدل عن الاستقامة، فاعترض طريق الحق، فإنه يسلك هذه الطريق بمزيد من العذاب الذي لا يتوقف^(١).

ثالثاً: أسلوب التأكيد والتنكير:

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَزِيحَنَّ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا تَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

تبين هذه الآية أن قدرة الله تعالى تظهر أيضاً بوحى الله تعالى إليك أيها النبي برسالة القرآن، الذي يصفه بأنه روح من أمر الله تعالى.

ثم يبين الله تعالى نعمته على نبيه صلى الله عليه وسلم بأنه لولا فضله جل جلاله لما علم عن القرآن والإيمان شيئاً، ولكن الله تعالى جعل من هذا القرآن وهذا الإيمان نوراً يستضاء به.

رابعاً: أسلوب ضرب المثل:

وهو ما يظهر واضحاً في قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ وَمَن وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥-١٢٦].

من يرد الله تعالى هدايته إلى الإيمان يقذف في قلبه النور؛ فينفسح القلب ويعمر بالإيمان، ومن كان غير ذلك ويريد أن يبقى على الضلالة، وينحرف عن الاستقامة التي هي سبيل النجاة، فإن هذه الذنوب تجعل -بتقدير الله تعالى وحده- هذا القلب ضيقاً ليس للخير فيه منفذ، وهكذا فإن الله تعالى يجعل عليهم بشؤم ذنوبهم النجاسة العظيمة، فهم سيئوا التصرف؛ لأنهم غير مسلمين؛ فكما لا يستطيع ابن آدم أن يبلغ السماء، فكذلك لا يقدر على أن يدخل التوحيد والإيمان قلبه حتى يدخله الله في قلبه^(٢).

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري، ٩٨/١٢، تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، ١٣٨٦/٤.

(١) انظر: التفسير الواضح، حجازي، ٧٦٣/٣.

الأنبياء والاستقامة

عيسى عليه السلام.
ومنها ما يأتي بصيغة الأمر المباشر
للنبي، ومن ثم لمن تاب من أمته من الشرك
وأخلص لله تعالى بالتوحيد، بعد بيان نماذج
كثيرة من أحوال السابقين، كما في نموذج
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

أولاً: الاستقامة في قصة سيدنا إبراهيم
عليه السلام:

قال تعالى: ﴿إِنِّ إِتْرَاهِيمَ كَانَتْ أُمَّةً قَانِتًا
لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣١﴾ شَاكِرًا
لِّأَنْعَمِيهِ أَحْبَبْتَهُ وَهَدَّيْنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٣٢﴾
وَوَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ
الصَّالِحِينَ﴾ [النحل: ١٢٠-١٢٢].

تذكر هذه الآيات نموذجاً مثالياً في
الاستقامة الحقة؛ حيث إنه عليه السلام
كان معلّم خير، يأتّم به أهل الحق والهدى،
فهو مطيعٌ لله تعالى على الحنيفية، ليس من
المشركين بالله تعالى، كان يخلص الشكر
لله جل جلاله ولنعمه الجمّة، وقد اصطفاه
الله تعالى واختاره لخلته، وهداه إلى الدين
الإسلامي القويم، وجزاء لما بدر منه من
عبادات ترضي الله تعالى، آتاه الله عز وجل
في هذه الدنيا ذكراً حسناً، وثناً جميلاً باقياً
على الأيام، وإنه في الدار الآخرة يوم القيامة
ممن صلح أمره وشأنه عند الله، وحسنت

من المعلوم أن أولى الناس التزاماً
بالاستقامة هم الأنبياء عليهم السلام؛ إذ
إنهم يمتازون عن البشر بعلو كعبهم في
الصبر وتحمل المشاق لأجل الدعوة، ومن
ثم طلب رضا الله تعالى.

ولذلك فإن القرآن الكريم قد بين أن
الأنبياء مأمورون بالاستقامة، التي هي سبيل
النجاة من عذاب الله تعالى، وذلك من خلال
أربعة نماذج، وهم: سيدنا إبراهيم صلى الله
عليه وسلم، وسيدنا موسى وهارون عليهما
السلام، وسيدنا عيسى صلى الله عليه
وسلم، وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.
وقد اختلفت صيغة الأمر بالاستقامة
للأنبياء عليهم السلام، فنجد ما يلي:

منها ما يأتي بصيغة الأمر المباشر من الله
تعالى بالاستقامة، كما في نموذج سيدنا
موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام.
ومنها ما يأتي من خلال بيان ثمرة الالتزام
بأمر الله تعالى؛ فهي الهداية إلى صراط الله
المستقيم، كما في نموذج سيدنا إبراهيم
صلى الله عليه وسلم.

ومنها ما يأتي بصيغة الأمر للمؤمنين
بعبادة الله تعالى وحده، وبأن من فعل ذلك
فقد هدي إلى صراط مستقيم، وهو منهج
الإسلام العظيم، كما في نموذج سيدنا

فيها منزلته وكرامته^(١).

وإن سيدنا إبراهيم عليه السلام مثال الاستقامة الحقة؛ بل إن من تشريف الله تعالى له أن جعله أبا للاستقامة، إن كانت تعني الإسلام، فهو أبو المسلمين بنص القرآن، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَتُحِبُّونَ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّيْتُكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨].

ومن يستقم على الدين، ويلتزم حقيقته فإنه يفلح في الدنيا والآخرة، وهو ما توضحه الآية الثانية والعشرون بعد المائة من سورة النحل.

ومن يطلب الصلاح والاستقامة يهده الله تعالى لها، كما في قوله تعالى: ﴿أَجْتَبَيْتُ وَهَدَيْتُكَ إِنْ صِرْطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [النحل: ١٢١].

ثانيًا: الاستقامة في قصة موسى وهارون عليهما السلام:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۝٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَان سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٨٨-٨٩].

تذكر هذه الآية دعاء سيدنا موسى وهارون عليهما السلام من خلال مقولة الرجاء من سيدنا موسى عليه السلام لربه سبحانه وتعالى - بعد ما زاد فرعون وقومه من طغيانهم-: ربنا إن عطاءك اللامحدود الذي أعطيته لفرعون وقومه من خير كثير، ربنا إن هذا الأمر وجه لأجل الضلال، ربنا اطمس على أموالهم، فمسخت دنانيرهم ودراهمهم وزروعهم حجارة، واشدد على قلوبهم بالضلالة، فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الكثير المؤلم، فحيل بينهم وبين أن يؤمنوا.

وقد كان هارون عليه السلام يؤمن من وراء موسى عليه السلام، ولذلك فإن الله تعالى أجاب دعوتهما مرتبطًا ذلك بالأمر لهما بالاستقامة، وهي الاتزان في لزومها سيما بعدم اتباع طريق الذين لا يعلمون^(٢). وتبين هذه الآية أن الله تعالى يهدي من يستحق النصر والتمكين أمثال سيدنا موسى وهارون عليهما السلام إلى الدعاء والرجاء بتذلل وانكسار إليه عز وجل، ثم تبين الآية التالية أن الله تعالى أمر بالاستقامة التي هي أصل الاعتدال؛ لأجل عدم الميل إلى الجهلة، الذين لا يعلمون حقيقة الدين القويم.

(٢) انظر: تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين، ٢/ ٢٧١، الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، ٥/ ٣٣١٤.

(١) انظر: جامع البيان، الطبري، ٣١٩/١٧.

مصدقٍ إلى مكذب، ولولا أن الله تعالى أخر على هذه الأمة عقاب من يكذبك يا محمد صلى الله عليه وسلم لجاءهم العذاب بعجلٍ بقضاء الله تعالى، وإنهم لفي شكٍ منه موقع للريب.

وتذكر الآية التالية أن كل من ذكرهم الله تعالى من قصص البشر والخلق في هذه السورة وغيرها، والله ليوفينهم ريبك أعمالهم، فإن من صفاته أنه خير بكل ما يعمل هؤلاء الخلق إن كان خيرًا أو غير ذلك.

ثم يأتي الأمر الرباني المباشر من الله تعالى لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالاستقامة بعد بيان حال الخلق عمومًا كما ذكر القرآن؛ لأن الملجأ الحقيقي للنجاة من غضب الله تعالى هو الاستقامة الحقة، وذلك بالتخلي عن الباطل، والتخلي باتباع المنهج المستقيم الذي يمثل في الإسلام العظيم، وليس الأمر لك يا محمد صلى الله عليه وسلم فحسب؛ بل إن الأمر بالاستقامة ينسحب على من تاب معك من المؤمنين الذين أنابوا إلى بارئهم عز وجل.

ثم جاء التحذير الإلهي لنبي الله تعالى ولجميع من تاب بعدم مجاوزة الحد الذي يحرفكم عن المسار الصحيح، وهو التوحيد الخالص الصافي من الشك والريب، وذلك عين الاستقامة الحقة، فإن من عمل بالحق

ثالثًا: الاستقامة في قصة سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام:

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٣٥) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ [مريم: ٣٤-٣٦].

بينة الآيات الكريمات أن قضية التوحيد ونفي الولد عنه سبحانه وتعالى من قضايا العقيدة الأساسية، ويترتب على ذلك إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له. وهذا هو المنهج المستقيم الذي لا اعوجاج فيه.

رابعًا: الاستقامة في قصة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِلَهُهُمُ إِلَهٌ مُّوَحَّدٌ﴾ (١١٠) وَإِنْ كَلَّا لَيُوفِينَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلُهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١١) فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ [هود: ١١٠-١١٢].

تذكر الآية العاشرة بعد المائة من سورة هود جملةً من أساليب التوكيد أن الله تعالى أتى سيدنا موسى عليه السلام التوراة وما فيها من أحكام فاختلف الناس فيها من

سبل الاستقامة

إن الاستقامة سمة النبيين ودأب الصالحين، وإنها وسيلة للنجاة من غضب الله تعالى، وبالتالي عذابه، وإن المسلم الحق هو الذي يسلم من الشوائب المبعدة عن الحق، ويتحلّى بصفة الاعتدال التي هي في حقيقتها استقامة.

وسبل الاستقامة يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

أولاً: الإيمان بالله تعالى والإخلاص
له:

قال تعالى: ﴿لِيَجْزَلَ مَا يَلْقَى الشَّيْطَانُ
فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ
وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ۝٥٣
وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ
رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ
اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝٥٤﴾

[الحج: ٥٣-٥٤].

بعد أن ذكرت الآية السابقة ما حكم به عز وجل من تمكين الشيطان من إلقاء الشبه، ذكرت الآية الثالثة والخمسون من السورة العلة من إلقاء الشبه في قلوب أوليائه، وهي جعل إلقائه لهذه الشبه امتحانًا واختبارًا لمن انزلت عن حد الاعتدال والاستقامة وهم المنافقون، ومن قسا قلبه عن فهم الآيات فصارت حجرية، ثم تذييل الآية بجملته

أو الباطل فالله تعالى بصير بذلك، فيجازي
بفضله أو بعدله^(١).

وقد ورد الأمر بالاستقامة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولقومه بعد بيان قصص مجموعة من الأنبياء عليهم السلام؛ لما في ذلك مزيد عبرة.

وربط قصة سيدنا موسى صلى الله عليه وسلم واختلاف الناس في التصديق أو التكذيب بتأخير العذاب على هذه الأمة لما في ذلك من تخصيص هذه الأمة بالخيرية أكثر من غيرها حتى بني إسرائيل الذين فضلوا على عالمي زمانهم بمتاع زائل، وأمة محمد صلى الله عليه وسلم تكتسب خيريتها من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله.

قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ
لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ
أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ
الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل

عمران: ۱۱۰].

وهذا النص القرآني مفعّمٌ بأساليب التوكيد؛ لما يدلُّ على أهمية الأمر بالاستقامة، وأن الوصول إليها يحتاج إلى طلب العون من الله تعالى وحده.

(١) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي، ٤٠٣/٢، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٠٣/٩.

يَتَمَتَّعُونَ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠٠﴾ [آل

عمران: ١٠٠-١٠١].

يروى أن «شاس بن قيس اليهودي» مر على نفر من الأوس والخزرج؛ فاغتاظ مما رأى من الألفة بينهم بما غير الإسلام من أحوالهم، بعدما كان بينهم من بغضاء وشحناء، فبعث شاباً من يهود، يذكرهم ببعث، وهي معركة كبيرة حدثت مع الأوس والخزرج، فاغتاظ القوم من الأوس والخزرج، وتنادوا: السلاح السلاح، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فذهب إليهم مع نفر من الصحابة، وما زال يعظهم حتى أنابوا إلى بارئهم وتعانقوا باكين، وأنزل الله تعالى هذه الآيات (٢).

تبدأ الآية المائة من السورة بنداء إلى المؤمنين، فالعهد المطلوب منهم في هذه الآية هو عدم طاعة فريق الضلال والإضلال من أهل الكتاب؛ لأن العقوبة التي تحل نتيجة ذلك، الردة إلى الكفر بعد الإيمان بسبب حسدهم وبغيهم عليكم، ثم تتساءل الآية التالية سؤالاً استنكارياً كيف يكون الكفر منكم؟ والحال أن آيات الله تعالى ما زالت تتلى عليكم، بمعنى أنكم تعاصرون نزول الوحي، وما زال الرسول محمد صلى الله عليه وسلم حياً بينكم قائماً بين أظهركم،

تقريرية لحقيقة، ألا وهي أن الظالمين الذين وضعوا أقوالهم وأفعالهم في غير مواضعها لفي خلاف بسبب أنهم في غير شق حزب الله تعالى.

وإن جميع هذه العوامل الإيمانية تجعل من الهداية الإلهية لهؤلاء المؤمنين - الذين أثبتوا قلباً وقولاً وعملاً على صدق إيمانهم - موصلة إلى طريق الاستقامة الحققة، المنجية من غضب الله تعالى وعذابه، سيما وأنها تعني لزوم الإسلام العظيم (١).

والوصول إلى الاستقامة منة من الله تعالى، فإذا أحسنت التوجه إلى الله تعالى، وآمنت به فإن الله تعالى يهديك إلى الاستقامة الحققة.

ولا بد من المرور بالأشواق أثناء التعبّد لله تعالى والتنسك بما يشمل معاني الإيمان بالله تعالى والإخلاص له؛ حتى يعلم من يستحق مرتبة الاستقامة من غيره، وهو ما يتبين لنا واضحاً في الآيات في معرض الحديث عن مداخل الشيطان.

ثانياً: الاعتصام بالله تعالى:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نُّظِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أَنُوتُوا لَكُنَّ يُرَدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ ۖ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۚ وَمَن

(٢) انظر: أسباب النزول، الواحدي، ص ١١٦، لباب النقول، السيوطي، ص ٤٤.

(١) انظر: نظم الدرر، البقاعي، ٧٢/١٣، مراجع لبيد، الجاوي ٧٧/٢.

يوجهكم ويرشدكم إلى الخير.

ثم ترغب الآية بالاعتصام بالله تعالى؛ فإن من اعتصم به، فإن الله يهديه إلى الطريق القويم، وهو منهج الاستقامة الذي يوصله إلى الجنة^(١).

والتحذير من طاعة فريق الضلال والإضلال من أهل الكتاب جاء بصيغة خبرية من خلال بيان العاقبة الوخيمة التي ستحل بهم إن أطاعوهم؛ فهم سيرتدون إلى الكفر.

وبعد التحذير البالغ الأهمية يأتي الترغيب الكبير بالاعتصام من خلال بيان المنة التي ستكون لهم، وهي الصراط المستقيم، الموصول إلى الجنة.

ثالثاً: العبادة والدوام والثبات عليها:

قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(٢) قل إنني هديتكم إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم خيفاً وما كان من المشركين^(٣) [الأنعام: ١٦٠-١٦١].

تبين الآية الستون بعد المائة عظيم رحمة الله تعالى وفضله؛ فالذي جاء بحسنة فله من الأجر عشر حسنات مثلها، والذي جاء بالسيسة فإن فضل الله تعالى يقتضي

أن يجازى بمثلها، ولا يمكن لهؤلاء أن يظلموا، وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إذا أحسن أحدكم إسلامه؛ فكل حسنة يعملها تكتب له بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف، وكل سيئة يعملها تكتب له بمثلها)^(٤).

ثم تخاطب الآية التالية سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم بأمره أن يقول للخلق جميعاً إنني أرشدني ربي ووفقني إلى الدين القويم، الذي هو منهج الاستقامة الحقة، أعني ديناً ذا قيم ومقام رفيع، فهو ملة سيدنا إبراهيم عليه السلام على الحنيفية السمحة، ثم تذييل الآية ببيان قطعي الدلالة أنه عليه السلام ليس من المشركين^(٥).

رابعاً: التمسك بالقرآن:

قال تعالى: ﴿قُلْ أُوْحَىٰ إِلَىٰ أَنَّهُ اسْمَعَنَّ تَقَرَّرَمَنِ الْخَيْرِ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾^(٦) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا^(٧) [الجن: ١-٢].

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما. قال: (انطلق النبي صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب حسن إسلام المرء، ١/ ١٧، رقم ٤٢.
(٣) انظر: معالم التنزيل، البغوي، ٢/ ١٧٧.

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ١٤١، بيان المعاني، عبد القادر العاني، ٣٧٣/٥.

العظيم، الذي ملئ من العجائب، فهو يدعو ويرشد إلى الصواب من التوحيد والإيمان الذي هو عين الاستقامة المنجية من غضب الله تعالى وعذابه، ولذلك لم يسع الجن إلا أنهم آمنوا إيماناً لا مرأى فيه ولا نفاق، وعهد على عدم الشرك بنوعيه بالله الرب المتعال (٢).

خامساً: اتباع رضوان الله تعالى:

قال تعالى: ﴿يَتَّخِذِ الْكَتِبَ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْقُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

يخاطب الله تعالى أهل الكتاب ببيان لهم أن رسولنا محمداً صلى الله عليه وسلم قد جاءهم؛ ليوضح لهم الدين الذي أخفوا كثيراً منه؛ وليعفو عنهم في كثير من زلاتهم؛ ثم تذييل الآية ببيان أنه قد جاءكم يا أهل الكتاب نور، وهو الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وقرآن كريم، وحتى يهتدي المؤمن إلى القرآن، والاستقامة في التزامه،

الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب. قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء.

فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهناك حين رجعوا إلى قومهم، وقالوا: يا قومنا: ﴿قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِكْ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١-٢].

فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١]. وإنما أوحى إليه قول الجن (١).

تبدأ سورة الجن بأمر إلهي لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أن يقول للخلق جميعاً: أوحى إليهم من الله تعالى وحده أنه طاف عدد لا يزيد عن عشرة من الجن فتوجهوا نحو تهامة، فإذا بهم يسمعون كلام القرآن

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب الجهر بقراءة صلاة الفجر، ١/١٥٤، رقم ٧٧٣.

(٢) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي، ٤/٣٤٦.

فقال ثابتٌ: والله لو كتب الله علينا أن نقتلوا أنفسكم لفعلنا»^(٢).

يخبر الله تعالى في الآية السادسة والستين من السورة: أن الله تعالى لو كتب على يهود عصر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقتلوا أنفسهم بالجهاد، أو اخرجوا من دياركم كما كان من اليهود السابقين حين استتبوا من عبادة العجل؛ ما فعلوه إلا القليل منهم، مع أن الأصل أن يفعلوا ما يوعظون به، وذلك أفضل لهم وأعظم في الثبات على الحق، ولأعطاهم الله تعالى الأجر العظيم، ولمن الله تعالى عليهم بالهداية إلى الصراط المستقيم، وهو الدين القويم، وهذا مرتبط بمزيد الاستغفار والتوبة النصوح والرجوع إلى الله تعالى، والتذلل والانكسار إليه جل جلاله^(٣).

ومن رحمة الله تعالى بهذه الأمة المحمدية أن جعل منة الهداية إلى الاستقامة ميسورة، ليس فيها مشقة كما كان حال السابقين.

ولا يصل المؤمن إلى قبول توبته من قبل الله تعالى إلا إذا تذلل وانكسر إليه جل جلاله.

سابعاً: اتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم:

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٥/ ٢٧٠.

(٣) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي، ٢/ ٨٢.

لا بد من اتباع رضوان الله تعالى؛ بالانضباط في طريق السلامة من غضب الله تعالى، والخروج من الباطل وما فيه من ظلمات، إلى طريق واحد وهو النور المبين، وكل هذا منوطٌ فقط بإذن من الله تعالى وحده، فإذا قام من قام ممن هدى الله قلبه للإيمان بذلك، فعندها يرشد الله تعالى ويوفق إلى الطريق القويم، وهو المنهج الرباني الأصيل^(١).

سادساً: التوبة والاستغفار:

التوبة إلى الله تعالى تعني الإنابة والرجوع إلى الله تعالى والندم على الذنوب، والعزم على العمل الصالح طاعةً لله تعالى، وهذا كله عين الاستقامة المنجية من غضب الله تعالى، وقد شهدت الآية الثامنة والستون من سورة النساء نموذجاً واضحاً بهذا الشأن.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنِييَةً ۖ وَإِذَا لَا تَنِيَّتُهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ۖ وَلَهْدِيَّتُهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ٦٦-٦٨].

«سبب نزولها ما روي أن ثابت بن قيس بن شماسٍ تفاخر هو ويهودي، فقال اليهودي: والله لقد كتب علينا أن نقتل أنفسنا فقتلنا، وبلغت القتلَى سبعين ألفاً،

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٦/ ١١٨.

وتقريبه من المنزلة الرفيعة من الهداية، جاء كل ذلك لأنه التزم القنوت والعبادة، وهو إمام جامع لكل الفضائل، يأتى به أهل الهدى في التزام الحنيفية السمحة؛ لاستجماعه كمالات لا توجد في غيره، وقد التزم الشكر الذي لا مثيل له لله تعالى؛ واقتران الشكر مع الهداية إلى الاستقامة؛ لبيان النتيجة والثمرة، وهي تحبيب الله تعالى سيدنا إبراهيم عليه السلام لكل الناس؛ لأنه موحد في دين الإسلام ليس يهودياً ولا نصرانياً^(٢).

ويتجلى ما ذكرنا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ خَفِيفًا وَكَرَّ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۖ سَاجِدًا لِلَّهِ لَأَنْعِمَهُ ۖ اجْتَنِبَتْهُ ۖ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ١٢٠-١٢١].

وإن من موجبات شكر العبد لله تعالى نعمه التي لا تعد ولا تحصى، ومن هذه النعم: أن الأمة المحمدية هي أمة العدل والاستقامة التي تتوسط الناس، من حيث دراية أخبارهم بما علم من كتاب الله تعالى وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ومن حيث التوسط في الدين؛ فلا هم أهل غلو فيه كالنصارى، ولا هم أهل جفاء كاليهود، وإن الأمة شاهدة على جميع الناس منذ سيدنا آدم عليه السلام إلى يوم القيامة،

قال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونُ مِنْكُمْ لَوْ أَدَّاهُ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ۚ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

تحذر هذه الآية الكريمة من أن ينادي المسلمون رسول الله محمداً صلى الله عليه وسلم باسمه، كما لو كانوا ينادون بعضهم البعض؛ فلا تقولوا: يا محمد، ولا يا أبا القاسم، ولا يا ابن عبد الله؛ لأن الله تعالى يعلم حال المنافقين الذين يخرجون من المسجد خفية؛ هروباً من أن يسمعوا كلام الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، فهم يلوذ بعضهم إلى بعض بدل أن يتطلقوا إلى الحق، ثم تحذر الآية من مخالفة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لثلاث تصيبيهم بليّة، أو يصيبيهم العذاب المؤلم في الدنيا والآخرة؛ لأن من يتخلف أو يتقاعس عن اتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم وهدية فلن يصل إلى الاستقامة الحقّة^(١).

ثامناً: الشكر لله تعالى:

لا شك أن الشكر لله تعالى من أنجع الطرق الموصلة إلى الاستقامة الحقّة، فاستقامة جدنا الذي نتشرف بالانتساب إليه سيدنا إبراهيم عليه السلام، واصطفاه

(٢) انظر: محاسن التأويل، القاسمي، ٦/٤٢٠، زهرة التفاسير، أبو زهرة، ٨/٤١٢٧.

(١) انظر: تفسير القرآن، السمعاني، ٣/٥٥٤، تفسير السمرقندي، ٢/٥٢٧.

كما يقول تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وتلك هي الخيرية بعينها مشروطة بلوازمها من أمرٍ بمعروفٍ ونهي عن منكر، وإيمانٍ بالله تعالى^(١)، كما قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

تاسعاً: العدل:

قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٧٥) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٧٦) [النحل: ٧٥-٧٦].

يضرب الله تعالى في هذه الآية مثلاً لنفسه والآلهة التي تعبد من دونه؛ فأما الآلهة فهي لا تعدو عن كونها صنماً لا يسمع ولا ينطق، ينتظر إذن الحركة والتقلب ممن يعبده، إذا دعاه هذا العابد لا يأت بخير، فهل يستوي هذا الوثن مع الله تعالى الذي يأمر

(١) انظر: معاني القرآن، الفراء، ٨٣/١، جامع البيان، الطبري، ١٤٢/٣.

بالاستقامة الحقّة، ومعلوم أن منهج الله جل جلاله هو منهج مستقيم، بمعنى أن من يلتزم أوامره يكون على هذا الصراط المستقيم^(٢). وأسلوب ضرب المثل في أخص خصوص الاعتقاد، وهو إثبات وجود الله تعالى، فيه مزيد حجة بالغة على أولئك المعرضين عن طريق الاستقامة الحقّة، ولذلك فإن الله تعالى بين صفة العدل والأمر به؛ لأن عذاب الله تعالى لعباده عدلٌ، ورحمته بهم يادخلهم الجنة فضلٌ.

عاشراً: الدعاء:

قال تعالى: ﴿إِنِّي أَنشَأْتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ لَأَيِّنَّ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١١٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُثُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطُلًا تُسَبِّحُكَ قِيَمًا عَذَابِ النَّارِ (١١١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنصَارٍ (١١٢) رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَن ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١١٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩٤].

يذكر الله تعالى في هذه الآيات أن التفكير في خلق الله تعالى الذي لا حصر له، ومن

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري، ٢٦٢/١٧، تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين، ٤١٢/٢.

ظنهم به جل جلاله، فإنهم يرجون الجنة التي وعدّها الله تعالى للرسّل عليهم السلام، وعدم الخزي بعدم استجابة دعائهم؛ بأن تتقلب قلوبهم إلى الشر في الدنيا قبل نهاية حياتهم، فالله تعالى لا يخلف وعده لأيّ من خلقه، وهؤلاء المؤمنون المستقيمون يقرون بذلك^(١).

الحادي عشر: العلم:

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْذَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

تذكر هذه الآية الكريمة أنه كما كان اختلاف في اللون والنوع في الشمار والجمال، فإن الناس والدواب عمومًا مختلفون أيضًا في اللون والنوع، ثم تستأنف الآية مقررّة لحقيقة، ألا وهي أن الذين يخشون الله تعالى ويعملون قصارى جهدهم للسلامة من غضبه، ومن ثم الاستقامة، هم العلماء المؤمنون المستسلمون لله تعالى ولأمره، فالله تعالى متصف بالعزة والمعرفة، فهما اسمان له^(٢).

نماذجه المبصرة السماوات والأرض، واختلاف المناخات والأوقات وما ينتج عن ذلك من متغيرات، كل ذلك يعدّ عبرة وآية لكل ذي لب، أي: عقلٍ صافٍ من الشوائب، فهم الذين يستقيمون على المنهج؛ باستحضار الله تعالى في كل أحوالهم وأقوالهم وأفعالهم سواء أكانوا في الصلاة أم في حياتهم عمومًا قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم، ثم يتدللون وينكسرون مقرين بأن الله تعالى أحسن وأتقن كل شيء خلقه، فهو منزّه عن أي نقص، متضرعين إلى الله تعالى راجين أن ينجوا من العذاب الأخروي.

فإن من أدخل النار فقد أخزي من قبل الله تعالى، وليس لأحد من الظالمين من أي ناصر، إذا كان الله تعالى هو الأمر، ثم تتجلى طبيعة الاستجابة من قبل هؤلاء المؤمنين المستقيمين المعتدلين أنهم بمجرد سماع منادي الإيمان من بعيد، فإنهم فطنوا إلى ذلك - دونما فذلّة - فأمنوا إيمانًا يسلب قلوبهم نحو بارئهم، فما دام الإيمان تغلغل في قلوبهم، فإنهم يتقربون إلى الله تعالى بالأعمال الصالحات، ويسألون الله خيرًا فهم يطلبون أولًا المغفرة من الذنوب، ثم الستر الكامل الذي يحط السيئات، ولضمان استمرار الخير، أن يبقوا حتى وفاتهم في صحبة أهل الخير البررة.

فإذا ما استجاب الله تعالى ببركة حسن

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، ٨٤١/٣.

(٢) انظر: تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين، ٣٠/٤، الكشف والبيان، الثعلبي، ١٠٥/٨.

موانع الاستقامة

لتحصيل الاستقامة موانع نتناولها في النقاط الآتية :

أولاً: الكفر والشرك بالله تعالى:

قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

تبين هذه الآية الكريمة أن طريق الاستقامة يختلف عن طريق الغواية في صفاته وملامحه، فلا يختلط هذا بذاك.

وتبين أن الكفر بما يعبد من دون الله قضية كبرى في الدين، فلا يصح إيمان العبد بالله تعالى حتى يكفر بكل ما يعبد من دونه^(١).

ثانياً: اتباع سبل الشيطان:

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ مَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٨﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُتَخَلِّصِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ عِبَادِي لَكِنَّ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٣٩-٤٢].

تذكر الآيات السابقة أولى مراحل الصراع والعداوة بين الشيطان والإنسان.

(١) انظر: تفسير القرآن، السمعاني، ١/ ٢٦٠.

وتذكر هذه الآيات أن إبليس تعهد بمحاولة إغواء بني آدم، وإبعادهم عن الطريق المستقيم، مستخدماً أسلوب التزيين والتدليس، فيظهر لهم الحق باطلاً، والباطل حقاً.

وأقسم أن سيذل في سبيل ذلك كل الوسائل والطرق التي تغوي بني آدم، وتبعدهم عن دين الله، واتباع شرعه.

ولكنه أقر في نهاية حديثه أن هناك فئة من بني آدم لا يستطيع إغواهم، وهم من اصطفاهم الله، وهادهم إلى صراطه^(٢).

ويفسر إبليس تكبره على الحق بأنه غواية من الله تعالى بسبب خلقه آدم، الذي يرى إبليس أنه أفضل منه، ولكنه استكبر، ولم يستجب لأمر الله، ويسجد لآدم.

ثالثاً: الفرقة والاختلاف:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

تبين هذه الآية الكريمة أن الذين تركوا دينهم وخرجوا عنه كاليهود والنصارى، أو الذين جعلوا دينهم متفرقاً، فأخذوا ببعضه وتركوا بعضه، هؤلاء جميعاً أنت يا محمد صلى الله عليه وسلم لست منهم في أي شيء مما يسرون أو يعلنون، من حيث

(٢) انظر: نظم الدرر، البقاعي، ١١/ ٥٨، البحر المديد، ابن عجيبة، ٣/ ٨٨.

والطغيان^(٣).

خامساً: الركون إلى الذين ظلموا:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن أُولِيَاءَ ثُمَّ لَا تَنْصُرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

تبين الآية الكريم أن من أسباب دخول النار والعذاب فيها: الركون إلى الظالمين، والميل إليهم، وموالاتهم.

وفي المقابل لن يستطيع هؤلاء الظالمون نصرتهم يوم القيامة، بل هم أحوج منهم لمن ينصرهم^(٤).

سادساً: اتباع الجهلة:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَطِعْ أَكْثَرَ مِن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦].

تنهى الآية الكريمة عن طاعة الكفار من خلال بيان العاقبة، وذلك أن مآل طاعتهم هو الضلال عن طريق الحق والاستقامة، طريق الدين القويم، فهم يبنون افتراءاتهم على الظن، وهم يكذبون في ذلك^(٥).

(٣) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٣٣/٦، فتح القدير، الشوكاني، ٤٤٨/٣.

(٤) انظر: تفسير الجلالين، المحلي والسيوطي، ص ٣٠١، إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ٢٤٥/٤.

(٥) انظر: تفسير الجلالين، المحلي والسيوطي، ص ١٨٢، فتح القدير، الشوكاني، ١٧٧/٢.

محاسبتك لهم في الدنيا، ولن تحاسب عليهم، فأمرهم وحالهم كله مرجع إلى الله تعالى، ثم يخبرهم خبراً يقينياً بعد مماتهم أو يوم القيامة، بكل فعلة فعلوها^(١).

ونجد أن الاختلاف في قراءة (فرقوا) حصل منه اختلاف المعنى الذي سبق، فقرأ حمزة والكسائي (فارقوا) بمعنى «ترك الدين»، والباقون قرءوا (فرقوا) بمعنى «جعل الدين متفرقاً»^(٢)، وفي هذا بيان لعظيم خطر من انحراف عن طريق الاستقامة الحقة، واتباع هواه.

رابعاً: الطغيان:

قال تعالى: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه: ٨١].

يأمر الله تعالى - على وجه بيان الحل والتذكير بنعمه - بني إسرائيل أن يأكلوا من جميع الطيبات التي رزقها الله تعالى لهم؛ ولكن هذا منوط بعدم الطغيان، وهو مجاوزة الحد، الذي هو ضد الاعتدال والاستقامة؛ فإن ذلك ينذر بغضب الله تعالى، ومن يأت إليه غضب الله تعالى فقد أهلك؛ لأنه يتبع هواه؛ فقد حملة السعة والعافية على التجاوز

(١) انظر: فتح القدير، الشوكاني، ٢٠٨/٢، الدر المنثور، السيوطي، ٤٠١/٣.

(٢) انظر: الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، ص ١٥٢.

سابعاً: اتباع الهوى:

قال الأوزاعي: «قال إبليس لأوليائه: من أين تأتون بني آدم؟ قالوا: من كل. قال: فهل تأتونهم من قبل الاستغفار؟ قالوا: إن ذلك لشيء ما نطقه، إنه لمقرون مع التوحيد.

قال: لائينهم من باب لا يستغفرون الله منه، فبث فيهم الأهواء» (١).

وبالتالي فإنه لا سبيل إلى الاستقامة إلا إذا تخلص المسلم من موانعها، وأعظمها الأهواء، وقد عالج القرآن الكريم ذلك من خلال آيات كثيرة.

منها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٢١) أَمْ قَتَلْتَهُمْ خَيْرًا فَخَرَجَ رَيْكَ خَيْرٌ وَمَوْخِرُ الرَّزْقَيْنِ (٢٢) وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [المؤمنون: ٧١-٧٣].

تبين هذه الآيات الكريمة بأسلوب الشرط، أنه لو أن الله تعالى - الذي من صفاته الحق - اتبع أهواءهم فيما يشتهونه أو يعبدونه لفسد تدبير السموات والأرض؛ لأنها مدبرة بالحق لا بالهوى، ولفسدت أحوال السموات والأرض؛ لأنها جارية بالحكمة لا على الهوى، ولفسد من فيهن من المخلوقات، ثم تذييل الآية بحرف

إضراب، من خلال أن الله تعالى أتاهاهم بكل ما هو حق، لكنهم عن هذا الحق معرضون، وبأسلوب التخيير لغرض بيان العاقبة الفضلى، يسأل الله تعالى نبيه محمداً هل تريد منهم أمراً من رزق، فرزق ربك خيرٌ وأفضل، فهو خير الرازقين، ثم تخبر الآية التالية على وجه التسلية للنبي صلى الله عليه وسلم: أنك يا محمد تدعوهم إلى الدين القويم الذي لا اعوجاج فيه (٢).

(٢) انظر: النكت والعيون، الماوردي، ٦٣/٤، زاد المسير، ابن الجوزي، ٢٦٧/٣.

(١) ذم الكلام وأهله، الهروي، ١٤٧/٥.

بالقرآن؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قائمٌ على هذا الدين، الذي هو الصراط المستقيم^(١).

٣. تنزل الملائكة على هؤلاء المستقيمين بالبشريات.

ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

فقد بين العز بن عبد السلام في مختصر تفسير الماوردي أن تنزل الملائكة إما أن يكون عند الموت، أو يوم القيامة، وعلى القول الأول تتحقق ثمرة للاستقامة في آخر عهد هذا المستقيم في الدنيا^(٢).

٤. ولاية الملائكة للمستقيمين.

ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿تَحْنُ أُولَئِكَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ [فصلت: ٣١].

فببركة استقامة هؤلاء المؤمنين تأتي إليهم الملائكة، وتخبرهم أنهم أحباؤهم وأنصارهم، فقد كنا الحفظة عليكم؛ بأمر من الله تعالى^(٣).

٥. الرزق الكثير لمن التزم

الآثار والثمرات المترتبة على لزوم الاستقامة

إذا التزم العبد طريق الاستقامة ظهرت عليه وعلى المجتمع الذي يعيش فيه آثار وثمرات تتناولها في النقاط الآتية:

أولاً: في الدنيا على الفرد والمجتمع:

لا شك أن موضوع الاستقامة اتسم بالأهمية التي يقف عندها كل مسلم، وإن القرآن الكريم أخبرنا أن لها آثاراً وثمرات في الدنيا قبل الآخرة، على الفرد والمجتمع، فمنها:

١. زيادة النشاط في الدعوة إلى الله تعالى.

وهذا يكون من خلال طمأنة الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم، عندما كذبه قومه، أنك يا محمد تدعو إلى الاستقامة الحققة، لهذا الدين القويم، ويفسر ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المؤمنون: ٧٣].

٢. التمسك بالمنهج المستقيم والعض عليه بالنواجذ.

ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿فَاسْتَمِمْ بِالَّذِي أَوْحَىٰ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

[الزخرف: ٤٣].

فإن هذه الآية تعني وجوب التمسك

(١) انظر: الكشف والبيان، الثعلبي، ٨/ ٣٣٦.

(٢) انظر: تفسير القرآن، ٣/ ١٣٠.

(٣) انظر: معالم التنزيل، البغوي، ٤/ ١٣٢.

الاستقامة.

استقامتهم على التوحيد والطاعة^(٢)، إذ إن (أولئك) في هذه الآية هي إشارة إلى المستقيمين الذين ذكرتهم الآية السابقة لها، وهي الثالثة عشر من نفس السورة، وقد جعلت جزاءهم على الاستقامة هو دخول الجنة مع الخلود فيها.

٣. محبة الملائكة ونصرتها للمستقيمين.

ويدل على هذه الثمرة الآية الواحدة والثلاثون من سورة فصلت، وقد ذكرناها في معرض ثمرات الاستقامة في الدنيا، ومعنى هذه الآية أننا «نحن كنا أولياءكم، أي: قرناءكم في الحياة الدنيا، نسددكم ونوفقكم، ونحفظكم بأمر الله، وكذلك نكون معكم في الآخرة، نؤنس منكم الوحشة في القبور، وعند النفخة في الصور، ونؤمنكم يوم البعث والنشور، ونجاوز بكم الصراط المستقيم، ونوصلكم إلى جنات النعيم»^(٣).

٤. المستقيمون ينالون ما يتمنون في الجنة.

ويدل على هذا الأمر الآية السابقة من سورة فصلت، في قوله: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾، فإنها تعني أن لهم ما يسألون

ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦].

والماء هو أساس الحياة لكل شيء، فبه يحيا الإنسان، ويحيا الحيوان، وينبت الزرع والكلاء، وبه يزداد الخير والرزق بالبلاد والعباد، كل ذلك بسبب استقامة الخلق على منهج الله تعالى.

ثانيًا: في الآخرة:

١. لا خوفٌ على المستقيمين ولا حزن.

ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣].

فإن الأمن من الفزع الأكبر، وكل ما يستقبلهم في الآخرة يكون حليف هؤلاء المستقيمين، وكذلك لا يحزنهم ما فاتهم^(١).

٢. دخول الجنة، والخلود فيها.

ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأحقاف: ١٤].

فبينت الآية الكريمة أن الأعمال الصالحات سبب لنيل الرحمة، جزاء

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق، ١٧٧/٧.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢٧٩/٧.

الآثار المترتبة على الانحراف عن الاستقامة

الانحراف عن طريق الاستقامة له آثار وعواقب نتناولها في النقاط الآتية:

أولاً: في الدنيا على الفرد والمجتمع:

إن من يتخلف عن طريق الاستقامة الحقبة ينل العقاب من الله تعالى في الدنيا قبل الآخرة، وقد دل على ذلك آيات كثيرة، سنذكر منها في معرض الاستدلال على بعض هذه العواقب التي تترتب على الانحراف عن الاستقامة، وهي على النحو التالي:

١. المعيشة النكدية.

ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٤].

أي: من أعرض عن هداي وذكري، وينحرف عن الاستقامة الحقبة، فإن له حياة نكدية؛ إذ إنه يلهث وراءها، خائفاً من انتقاصها، وتلك هي عقوبة لا يتصور عذابها من الخلق إلا من ابتلي بها^(٣).

٢. قسوة القلوب ولعن الله لهم.

ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ

ويتمنون^(١).

٥. المستقيمون في ضيافة الرحمن يوم القيامة.

ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿نُزِّلَ مِنَ عَفْوٍ رَحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٢].

والمقصود بالنزل رزق النزول، وهو الضيف^(٢)، وذيل الآية بصفتي المغفرة والرحمة؛ لبيان تفضل الله تعالى على عباده المستقيمين على طاعته ومنهاجه.

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٣٥٩/١٥.

(٢) انظر: لباب التأويل، الخازن، ٨٨/٤.

(٣) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي، ٤١/٤.

قَسِيَّةٌ ﴿[المائدة: ١٣].﴾

وهذا يعني أن نقض اليهود للميثاق سواء أكان الميثاق العام في عالم الذر، أو الميثاق الخاص ببني إسرائيل، حرفهم عن الاستقامة الحقّة، وعقوبتهم العاجلة هي لعنة الله تعالى عليهم، وقسوة قلوبهم.

من يعرض عن الاستقامة وطريقها يسلك العذاب الشاق: ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ فِيهِ وَنَمَرُ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكُهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٧].

ثانيًا: في الآخرة:

١. الهلاك والوعيد.

ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [فصلت: ٦].

فقد وردت هذه الآية في سياق بيان العقوبة الأخروية، وهي الوعيد بالهلاك الشديد في النار لكل من انحرف عن الاستقامة؛ لأن الاستقامة المقصودة هنا التوحيد، والوعيد هنا لما يضاده، وهو الشرك^(١).

٢. الحشر يوم القيامة على العمى.

ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤].

وهذا يعني أن من تخلف عن الاستقامة، بإعراضه عن الطاعة ومن ثم التوحيد، فإنه

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ٢٧/ ٥٤٢.

يساق يوم القيامة بصيرًا، فإذا سيق إلى الحشر عمي^(٢).

٣. العداوة بين المنحرفين عن الاستقامة. ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

وهذا يعني أن الأخلاء في الدنيا يكونون يوم القيامة أعداء لبعضهم البعض، بسبب بعدهم عن الاستقامة على طاعة الله تعالى، أما المتقون الذين استقاموا على الدين، فلا عداوة بينهم بل هم أخلاء متحابون^(٣).

موضوعات ذات صلة:

الصراط، الضلال، الغلو، الهداية، الوسطية

(٢) انظر: المصدر السابق، ٢٢/ ١١١.

(٣) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي، ٨٢/ ٤.